عاشوراء الحسين والمقاومة المعاصرة: بين قدسية الشعائر ومشروعية السلاح

بقلم: المستشار القانوني مرتضى فنجان

00964- 7710122232
Alfaidcenter2011@gmail.com
العراق - بغداد - الكرادة

في كل عام، حين تطلُّ علينا أيام عاشوراء، تتجدد في وجدان الأمة الإسلامية . وخصوصًا في العراق . عاشوراء تُحيي روح الإباء ذكرى أعظم ثورة في التاريخ الإنساني: ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء. هذه الذكرى ليست حدثًا عابرًا في الذاكرة، بل هي مدرسة متكاملة للإباء والكرامة، للإصلاح والنهضة، للثبات أمام الطغيان، ورفض الذل والاستسلام.

لقد تحوّلت عاشوراء، عبر القرون، من مأساة دامية إلى رمز خالد للحرية والعدالة. لم تكن دماء الحسين وأهل بيته وأصحابه مجرد نقطة في سجل التاريخ، بل كانت نداءً دائمًا للأحرار في كل زمان ومكان: "لا تُساوموا على الحق، ولا تُهادنوا الباطل، ولا تُسلموا رقابكم للجبابرة.

الشعائر الحسينية: بين الحزن والفعل

عاشوراء ليست مناسبة للبكاء فقط، وإن كان البكاء على الحسين فضيلة، بل هي محطة لتجديد العهد مع مبادئه، واستلهام الدروس من ثورته. الشعائر الحسينية . من المسيرات والمجالس إلى اللطميات والخطابة . هي تعبير عن ارتباط الأمة بنهج الحسين، لكنها أيضًا وسيلة لبثّ روح المقاومة واليقظة في ضمير المجتمع، لا سيما في وجه الاحتلال والظلم والفساد.

من كربلاء إلى بغداد: روح الحسين حيّة

يرى كثير من المؤمنين أن روح المقاومة التي جسّدها الإمام الحسين، أصبحت اليوم جزءًا أصيلاً من الوعي العراقي، خصوصًا بعد التجارب المريرة التي مرّ بها العراق من احتلال، إرهاب، ومخططات لتقسيم البلاد ونهب خيراتها. في مثل هذه الظروف، برزت قوى المقاومة العراقية، التي وقفت بوجه الاحتلال الأمريكي في الأمس، وتصدّت للإرهاب التكفيري في الأمس القريب، ولا تزال تؤدي دورًا مهمًا في حماية السيادة ومواجهة التدخلات الأجنبية.

هذه القوى، بما تملكه من سلاح، لم تنشأ خارج رحم المعاناة، ولم تكن كيانًا فوضويًا كما يصوّرها البعض، بل نشأت استجابةً لحاجة واقعية في ظل عجز الدولة، وانكشاف أمن المواطنين، وهي اليوم . في نظر شريحة واسعة من العراقيين . جزء من منظومة الدفاع عن الوطن والسيادة العراقية.

سلاح المقاومة: بين الواقع والاتهامات

في هذا الجو المشحون، نسمع بين الحين والآخر أصواتًا تطالب بـ"نزع سلاح الفصائل"، أو "حصر السلاح بيد الدولة"، وهي شعارات لا غبار على ظاهرها، لكنها تثير العديد من التساؤلات الجوهرية:

- **هل زال الاحتلال الخارجي فعليًا؟**
- **هل انتهت التهديدات الأمنية والعسكرية ضد العراق؟**
- **هل تم بناء دولة قادرة على حماية المواطنين دون الحاجة لأي دعم شعبي أو مقاوم؟**

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

إن الإجابة الصادقة على هذه الأسئلة تكشف أن الحديث عن نزع السلاح قد يكون في غير أوانه، أو قد يخدم . بوعي أو بغير وعي . أجندات خارجية تسعى لتجريد العراق من عوامل قوته. فالمقاومة لم تكن عبئًا على الدولة، بل كانت سندًا لها في أكثر اللحظات حرجًا، ومن حقها . بل من واجبها . أن تظل حاضرة ما دام الخطر قائمًا.

الحسين و"سلاحه": رسالة لكل زمان

الحسين (عليه السلام) حين خرج في عاشوراء، لم يكن يحمل سلاح دولة، ولم يكن في يده جيش منظم، لكنه حمل سلاح الحق والإيمان والصبر والموقف الواضح. قال كلمته التي ما زالت تهزّ ضمائر الأحرار:

"إني لم أخرج أشِرًا ولا بطرًا، ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي".

هذا هو منطق المقاومة الحقيقي، الذي يستند إلى مشروعية الغاية ونقاء الوسيلة. وهكذا، فإن المؤمنين يرون في الدفاع عن الوطن والعقيدة، عبر السلاح الشريف المقاوم، استمرارًا لنهج الحسين، لا انحرافًا عنه.

الحق القانوني في المقاومة: شرعية تُقرّها المواثيق الدولية

إن الدعوة للمقاومة والدفاع عن الأرض ليست مجرد عاطفة دينية أو حماس وطني، بل هي حق مكفول بالقانون الدولي، ومعترف به في أهم المواثيق والاتفاقيات الدولية. فقد نصَّ الميثاق التأسيسي للأمم المتحدة في ديباجته على حق الشعوب في تقرير مصيرها، ورفض الاحتلال، ومقاومة السيطرة الأجنبية.

كما جاء في المادة (1) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام 1966:

"لكل الشعوب الحق في تقرير مصيرها، وبمقتضى هذا الحق لها أن تقرر بحرية وضعها السياسي، وتسعى بحرية إلى تحقيق نمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي."

وفي السياق نفسه، أكد القرار رقم 3103 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 12 ديسمبر 1973 على:

"شرعية كفاح الشعوب الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية أو الأجنبية أو الأنظمة العنصرية، باستخدام جميع الوسائل المتاحة، بما في ذلك الكفاح المسلح، في سعيها لنيل الحرية وتقرير المصير."

وعليه، فإن مقاومة الاحتلال أو التدخل الأجنبي، سواء بالسلاح أو بوسائل أخرى، ليست عملاً غير مشروع، بل هو ممارسة قانونية مشروعة تندرج ضمن حقوق الشعوب غير القابلة للتصرف.

وبهذا المنظور، فإن من يُطالب بنزع سلاح المقاومة دون أن تتوفر بيئة سيادية آمنة ومستقرة، إنما يُطالب بتجريد الشعب من أحد حقوقه الأساسية التي كفلتها الشرائع الدولية، ويغضّ الطرف عن السياق الذي يجعل هذا السلاح ضرورة وطنية ودستورية وأخلاقية.

هل نخذل المدافعين عن العراق؟

إذا كان الحسين قد علّمنا أن الدم أصدق من السيف حين يُرفع في وجه الظلم، فإن من يُطالب اليوم بتجريد المقاومة من سلاحها، يُخالف هذا المنطق الحسيني. لأن سلاح المقاومة ليس سلاح ميليشيات عابثة، بل هو

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

سلاح تضحيات، وسلاح مقابر جماعية، وسلاح أرامل وأيتام، وسلاح مقاتلين عادوا بأجساد ممزقة من جبهات الدفاع عن الوطن.

من هنا، فإن عاشوراء ليست فقط موسمًا للدموع، بل موسمًا للمواقف. إنها لحظة فارقة بين من يقف مع الحق، وبين من يُخادع نفسه بشعارات فضفاضة تفرّغ العراق من عناصر قوته، وتُمهّد لعودة الهيمنة الأجنبية بأشكال مختلفة.

كلمة الختام: هيهات منا الذلة

إننا حين نحيي عاشوراء، فإننا لا نبكي على الماضي فحسب، بل نتعهد بالمستقبل. نتعهد بألا نُسلّم راية الحسين إلى يد الخنوع، وألا نُفرّط بمكتسبات صبر المقاومين، ولا نخذل من حملوا السلاح دفاعًا عن الأرض والعِرض.

وعاشوراء، في كل عام، تُذكّرنا بكلمة الإمام الحسين (ع):

"ألا وإن الدعيّ بن الدعيّ قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة!"

فهل نختار الذلة ونحن أبناء كربلاء؟

وهل نُفرّط بسلاح المقاومة، ونحن ما زلنا نُحاصر من كل الجهات؟

الجواب، عند كل من عرف معنى الحسين، ومعنى الوطن.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة